باب المجلات والدوريات

دراسة بعض العوامل

التى تؤثر فى التباعد الاجتماعى بين الجنسين*

بقلم هـ . ل . كوش Helen L. Koch

تعددت النظريات فيما يتعلق بمدى تقدير الجنسين لبعضهما البعض ، ومن المقرر بوجه عام أن الطفل ليس لديه تفضيل فطرى لأحد الجنسين إلا أنه يُفضل أكثر الأشخاص اهتماماً به وهذا يكون امرأة فى العادة : الأم أو المربية . ولا نعلم بعد بيقين ما إذا كان ثمة فرد معين من أحد الجنسين له آثار تذكر فى هذه الشهور الأولى للطفل ، حتى يمكن أن يقال إن الأطفال الصغار يفضلون المرأة على الرجل . وليس لدينا الكثير من المعلومات عن مدى تحقق الميل الجنسى فى مختلف الأعمار ، وعن العوامل المساعدة على نمو الميل وانتشاره وتقويته ، وعن الرموز التى تتصل بتأثير التفضيل الأبوى . وقد قدم المحللون النفسيون أكبر مساهمة فى هذا الموضوع إلا أننى لست مقتنعة بأن البراهين التى يقدمونها تؤدى إلى هذا التعميم الشامل للمضمون التناسلى Genital content للعقدة الأوديبية ولا يكفى لقبول هذا الفرض القول بوجود أفكار فطرية Innate ideas

والقيمة التى يضعها الطفل لكل جنس تكون نتيجة لما تلقاه من تعليم وكذلك نتيجة لخبرته مع كل جنس فى البيت وخارجه ، وذلك بالإضافة إلى القيم الأخرى التى تؤثر فيه والتى من بينها مبدأ التقمص Identification إذا كان صحيحاً . فليس من العجيب أن نجد أن الأطفال الذين حدث لديهم تقمص جنسى يميلون إلى تفضيل أفراد من نفس جنسهم . ولكن التقمص ليس العامل الوحيد فهناك عوامل أخرى يمكن أن تجعل الأفراد من جنس ما يفضلون جنسهم ، وظاهرة التفضيل هذه لا يمكن أن نأخذها كنتيجة حاسمة لفرض

---

* ملخص عن مجلة "The Journal of Social Psychology. vol. 20; p. 79-109

التقمص ؛ فالمماثلة فى التكوين الفسيولوجى مثلا تجعل الأطفال من جنس واحد يشعرون بارتياح مع بعضهم البعض أكثر من الأطفال من الجنسين . وعلى هذا فإن اتصال الأطفال من جنس واحد يتزايد عن اتصالهم بالأطفال من الجنس الآخر .

ولما كانت حدود الذات عند الأطفال الصغار أضيق منها عند من يكبرونهم من الأطفال كما أن الذات تكون أقل تغايراً ، فإن إعتبار الفرد لأعضاء نفس الجنس يكون أكثر وضوحاً فى السنوات الدراسية الأولى عنه بعد المراهقة عند ما يحدث التقمص والمشاركة الاجتماعية بسبب الضغط البيولوجى والاجتماعى معاً . وقد لوحظ الأطفال أثناء فترات لعبهم وقدمت إحصاءات عن عن مدى إندماج كل طفل مع الأطفال الآخرين وعما إذا كان الأطفال المفضلون عند الطفل من نفس الجنس وإذا كان أكثرهم نبذاً rejection من الجنس الآخر . ففى حالة الفتيات لم يزد التفضيل الجنسى sex pererence عن فتاة واحدة فى حالتين فقط بينما فى حالة الأولاد وجدت حالة واحدة لم يحو التفضيل فيها أولاداً . أما فى حالة النبذ فكان الغالب هو الجنس الآخر بالنسبة للولد والفتاة جميعاً .

هذه النتائج لها أصالتها التى لا يتطرق إليها الشك . فأعضاء الجنسين فى السنوات السابقة للمدرسة لا يتجمعون مع بعضهم البعض بنفس النسبة — عند ما تكون لهم حرية الاختيار . ويظهر أن التباعد الجنسى يتزايد مع السن فى السنوات السابقة للمدرسة ، فمثلا درجة التفضيل والنبذ عند الأطفال الذين لم يتجاوزوا سنتين أقل بكثير منها عند الأطفال فى الرابعة .

ويحدث التقمص عند ما يصل الأطفال من الجنسين إلى سن الرابعة . ففى السنوات الدراسية الأولى لا يكون تأثير التربية والتأثير الفسيولوجى قوياً فى تحويل الذات إلى الجنسية الغيرية heterosexual ولذا نجد الأطفال يفضلون جنسهم . وفى المراهقة عند ما يتم النضج الفسيولوجى وبتأثير التربية يقل التباعد الجنسى . ولما كان الأولاد أكثر جرأة من الفتيات فإن اتصالهم بالفتيات يكون أكثر من اتصال الفتيات بهم . ولما كانت فرصة الاجتماع والصداقة تزيد الميل الأولى عادة ، فإن الميل الجنسى عند الأولاد يمكن أن يعدل أكثر منه عند الفتيات . والأطفال الصغار يفضلون أمهاتهم بسبب ما تقدمه الأم من خدمات

للطفل ، فلا بد إذن أن تحدث إعاقة فى نمو تفضيل الذكر لجنسه ومع ذلك يمكن أن نتوقع حدوث إعاقة فى نمو تفضيله للفتاة بسبب كثرة اتصال الأولاد مع بعضهم البعض فى المنطقة التى يقطنونها .

ويكون الميل الجنسى عند الفتيات أقوى منه عند الأولاد ، ذلك لأن النضوج maturity عند الفتاة يكون أسرع منه عند الأولاد كما أن الفتاة تفوق الولد عادة فى النجاح المدرسى وهذا يجعل للفتاة تقديراً عند الولد فيعتدل الميل عنده .

ويمكن أن نحمل تفضيل الفتاة للفتاة على أنه ظاهرة للتعويض A compensation phenomenon ونقصد بذلك أن الفتيات قد ينتابهن شعور طبيعى بنقصهن عن الأولاد كما يرى أدلر فتظهر الفتاة ميلها إلى جنسها لكى تغطى ما تشعر به من نقص بعد أن أخفقت فى أن تثبت ذاتها مع الذكر فى السنوات السابقة للمراهقة . ويرى المحللون النفسيون أن شعور الفتاة بنقصها عن الولد حقيقة لا نزاع فيها ، ويرى فرويد أنه حتى فى السنوات السابقة للمدرسة تتنازع الفتاة بعض خبرات تؤدى إلى الشعور بالدونية لعدم حيازتها العضو الذكرى ، إذ تعتبر أن هذا هو المفضل . وفى رأيى أن الشعور بالدونية إذا كان قاعدة لكان من السهل أن يظهر هذا فى ملاحظة الفوارق التشريحية ولأمكن أن يظهر فيما ينشأ بين الأولاد والبنات من صلات ولأمكن للأم أن تلاحظه .

وتزيد نسبة نبذ الفتيات للأولاد على نسبة تفضيل الفتيات للفتيات بينما نجد العكس فى حالة الأولاد . ولهذا يمكن أن نتوقع نقص تعلق الفتيات بالأولاد ، عن حبهن للبنات . وإهمال الفتيات للأولاد السيئين لا تقل حدته بأى ميل جنسى وإنما تزداد حدته بالتحيز ضد الأولاد . وهذا يقودنا إلى أن نتوقع أن تفوق نسبة تفضيل الفتيات للفتيات نسبة تفضيل الأولاد للأولاد وتفسيراً لهذه الظاهرة ، نجد أن فرض الشعور بالدونية مقبول .

تلخيص : موريس ميخائيل

سيكولوجية التجربة الفيلمية (١)

بقلم : هوجو مورهوفر

ينتاب شعور الرجل الحديث — وبخاصة ساكن المدن — تغيراً سيكولوجياً حاسماً ، عندما ينطلق إلى السينما ، خارج نطاق الأنوار فى الليل أو النهار ، حيث يبغى فى أغلب الأحايين ، اللهو والتسلية والثقافة ، كل هذا خلال ساعتين من الزمن . وهو لا يعير أية أهمية للأطار التكنيكى والاقتصادى الاجتماعى للمنشآت التى مكنته من رؤية الفيلم ، بل هو لا يشعر بأقل رغبة فى الاهتمام بهذا كله .

على أننا نجد إلى جانب هذه الدوافع الذاتية ، عوامل أخرى موضوعية . وهى ذلك التغير السيكولوجى للشعور ، وهو الذى يصاحب — آلياً — العملية اليومية لارتياد السينما . وتنطوى عوارض هذه العملية اليومية التى ندعوها بالموقف السينمى Cinema Situation على أقصى ما يمكن من العزلة عن العالم الخارجى بمثيراته السمعية والبصرية ، ذلك لأن قاعة السينما الكاملة تستلزم ألا يكون هناك أى مصدر للنور سوى الشاشة نفسها ، وألا يسمع أى صوت سوى صوت الفيلم ، فالاستمتاع بعرض فيلمى لا يكون تاماً إلا فى ظلام دامس ، وبعد اقصاء كافة الأثارات السمعية والبصرية . فإن هذه الاثارات تنبه المتفرج ، خلافاً لرغبته ، إذ هو يود أن يخرج بتجربة خاصة تستند إلى استبعاد الحقائق المألوفة فى الحياة اليومية ، كما أنها تنبهه إلى وجود عالم خارجى ، لا يتفق إطلاقاً مع الواقع السيكولوجى لتجربته السينمية ، وهى التجربة التى تؤدى حتما إلى (فرار إرادى) من الحقائق اليومية ، وهذه هى إحدى السمات الجوهرية للموقف السينمى .

ولكى نحصل على الأثر السيكولوجى للموقف السينمى بدقة ، ينبغى — طبقاً لما يراه علم النفس التجريبى — أن نستعيد الأرجاع لدى شخص ظل مدة من الزمن فى غرفة مظلمة . فى مثل هذا الموقف يطالعنا أولا تغير (الاحساس بالزمن) وهو ينحصر فى أن سير الاحداث العادية يبدو متباطئاً ، والانطباع الذاتى لذلك ،

(١) نقلاً عن الجزء الثانى من مجموعة The Penguin Film Review الصادر فى يناير ١٩٤٩

أن الوقت يمضى فى الظلام أكثر بطأ مما لو كنا نمارس تجربتنا فى النور ، سواء كان طبيعياً أم صناعياً .

ويمكن أن نطلق على جميع الآثار السيكولوجية لوجودنا فى الظلمة اسم (ممارسة الضجر) وهذه الممارسة تتميز بعدم « حدوث شىء » وهى لا تعبر إلا عن فراغ الشخص الضجر .

وثمة نتيجة سيكولوجية أخرى للعزلة البصرية فى غرفة مظلمة ، وهى التغير الطارئ على (الاحساس بالمكان) فمن المعروف أن الضوء غير الكافى يجعل الأشياء تفقد بعض معالمها الواضحة ، وهذا يتيح للخيال مجالا واسعاً فى تفسير الجو الذى يحيط بنا ، فكلما عجزت العين البشرية عن التعرف على المعالم الحقيقية للأشياء فإن الجانب الأكبر من هذا التعرف يأتى عن طريق الخيال ، وهو ذاتى إلى أقصى حد فى تسجيل الواقع المرئى . ويزيل هذا التغير فى الاحساس بالمكان — إلى حد ما — الحاجز الفاصل بين الشعور واللاشعور ، وعلى ذلك لا يمكن التغاضى عن دور اللاشعور فى التجربة الفيلمية .

وتقوم الجوانب الهامة فى الموقف السينمى بفضل الآثار السيكولوجية للاحساس بالزمان والمكان الذى تغير ، أى بوادر الشعور بالضجر ونشاط الخيال المتزايد . وفى اللحظة التى تنتشر فيها الظلمة تبدأ هذه التغيرات السيكولوجية ، ويلقى الفيلم على الشاشة كلا من بوادر الضجر والخيال المنشط ، ويخفف من حدة التوتر لدى المتفرج الذى يخطو الآن نحو الواقع الفيلمى المختلف .

وتطالعنا فى الحال نتيجتان هامتان ، فالخيال المنشط يستولى على الفيلم الذى يسجل فعلا معيناً على الشاشة بواسطة الوسائل البصرية ، وفى الوقت نفسه يخلق الاحساس المتغير بالزمن رغبة فى « فعل حاد » ، وقلما يحتمل المرء أن يرقب أحداث قصة مسجلة على الشاشة وهى تمضى بنفس السرعة التى تمضى بها فى الواقع . ولا يستمتع المتفرج بالفعل على الشاشة إذا سار على الإيقاع المألوف فى الحياة الواقعية فهو يرغب فى شكل مركز للقصة الفيلمية ، كما يرقب استمرار الفعل بحيث يمضى حاداً ، وما لم تتحقق هذه الرغبة السيكولوجية فإن شعوره بالضجر الذى يظل كامناً سيستيقظ حتما ، وبعبارة أخرى يقال عن الفيلم إنه ممل .

ومن المهم فى هذا الصدد أن نشير إلى أن الشعور بأن الفيلم ممل فى جوهره ، لا يصدر عن الفيلم ذاته بل عن حالة التغير فى شعور المتفرج . وقد نرى أحياناً

بعض المشاهد فى الحياة اليومية يقدم بالايقاع الخاص بهذه الحياة ، ولكن ذلك يكون تحقيقاً لأغراض رمزية أو تأثير درامى قوى ، ويزول تهديد الضجر فى هذه الحالة بفضل التوتر الداخلى والمضمون الرمزى .

وفى نفس الوقت الذى يتغير فيه أحساسنا بالزمن تظهر الآثار الناشئة عن تغير الاحساس بالمكان ، فاستعدادها للنشاط إنما يتنبه بواسطة عنصر جوهرى آخر فى الموقف السينمى ، وهو الحالة السلبية للمتفرج التى يصل إليها بملء إرادته ، فهو يجلس جلسة مريحة مجهولا من الجميع Anonymously فى حجرة مغلقة بعيداً عن واقع الحياة اليومية وهو ينتظر الفيلم فى سلبية وتقبل كاملين .

وهذه الحالة تؤدى إلى تقارب سيكولوجى بين الموقف السينمى وحالة النوم إذ نجد بين هاتين الحالتين صلة واضحة ، فكلاهما تتضمن الابتعاد عن الواقع . والظلمة شرط لا بد منه للنوم أو لمشاهدة الفيلم ، وكذلك الحالة السلبية الإرادية ، ولهذا كان «ايليا اهرنبورج» محقاً عند ما وصف الفيلم بأنه (مصنع الأحلام) . وكل ما فى الأمر إننا فى النوم ننتج أحلامنا بأنفسنا ، فى حين أن السينما تقدم لنا هذه الأحلام جاهزة .

والموقف السينمى بنتائجه من حيث استمرار الضجر الوشيك والخيال المنشط والسلبية الارادية ، يدفع اللاشعور إلى الاتصال بالشعور . بدرجة أعلى مما يتحقق فى الحالة السوية ، وعندئذ تتحرك جميع كوامن مكبوتاتنا . وعندما نبدأ فعلا فى مشاهدة الفيلم . تقوم رغباتنا غير المشبعة بدور حاسم ، فتظهر مشاعر عدم التسليم وأحلام اليقظة التى لا نحققها أو لا نستطيع تحقيقها .

والمتفرج يهب نفسه بإرادته وبلا مقاومة للفعل الحادث على الشاشة وللتأويل غير الممحص وهو الذى يمده به لاشعوره ، ولا شك فى أن السبب فى اختلاف نقاد الأفلام وتعارضهم هو أن اللاشعور لديهم كثيراً ما يخادعهم .

ولا يوجد شخصان يمارسان تجربة فيلمية على نفس النمط ، فالتجربة الفيلمية فى الغالب أكثر فردية من كافة التجارب ، حتى التجربة الجنسية ، فإنها تبدو أكثر رتابة من التجربة الفيلمية حيث الإضاءة النصف ، والضجر الوشيك والخيال المنشط ، والسلبية فى العزلة الإرادية .

وفى الحق أن هذا التحول الجذرى لواقع الحياة اليومية، وهذا الإنكار الإرادى لكل ما يتصل بها هو سبب هذه الظاهرة الغريبة التى نطرحها على بساط البحث .

وكثيراً ما تناول علم النفس الحديث — وبخاصة التحليل النفسى — مشكلة أحلام اليقظة وأحلام النوم ، وبعبارة أخرى تلك الظواهر التى تقف على الحدود بين اليقظة التامة وبين الحلم العميق . ومما يميز هذه الظواهر أن الشعور بالواقع ليس مفقوداً تماماً ولكنه مجرد إلى حد كبير من القدرة على التمحيص ، وفى الوقت نفسه يضطلع اللاشعور بالسيطرة التامة على النشاط السيكلوجى ، فالتقارب بين بين الموقف السينمى من ناحية ، وبين أحلام اليقظة من ناحية أخرى لا يمكن إنكاره ، فالتجربة الفيلمية تمد أناساً كثيرين بمادة مناسبة لأحلام يقظتهم وأحلام نومهم .

ونحب أن ننوه فى هذا الصدد بالافتقار الشديد إلى التخيل لدى الإنسان الحديث ، فالصحافة والراديو والسينما لا تكفى وحدها للتغلب على هذا الفقر فى التخيل ، وعلى ذلك تبدو السينما وكأنها (واقع غير واقعى) وهى تقف فى منتصف الطريق بين الواقع اليومى والأحلام الشخصية الخالصة ، والتجربة الفيلمية ترسم للخيال معالم الطريق وتمده فى الوقت نفسه بالمادة التى تعوزه وإليك مثلا ملموساً لما تقدم ، فمن الوقائع المشاهدة أن مرتاد السينما يظل فترة بعد خروجه منها فى حالة متغيرة تغيراً كبيراً ، يلحظه رفاقه . فإذا كان اللاشعور هو السبب فى أن المتفرج قد تقمص شخصية بعض الممثلين فإن التآزر العقلى يستمر حتى تخفت التجربة الفيلمية وينميها الواقع الفيلمى جانباً ، وفى حالة الأشخاص ذوى الحساسية المرهفة والمخيلة القوية والكبت الملحوظ ، فإن أثر التجربة الفيلمية يلقى بظله على هيئة الشخص ومشيته وحركاته .

وفى الختام نود أن نشير إلى أثر سيكلوجى آخر للموقف السينمى : وهو (مجهولية المتفرج) Anonymity فلا الضوء الضعيف فى قاعة الموسيقى ولا ضوء المسرح الخافت يضع النظارة موضع التجاهل المتبادل كما هو الحال فى السينما ، فأولا لا يتاح فى قاعة الموسيقى ولا فى المسرح هذا الظلام الذى يتاح فى السينما ، وذلك لأسباب تكنيكية ، وثانياً نلاحظ أن فترات الاستراحة تصلح لأن نعقد اتصالا بصرياً مع جيراننا . ولهذا فمن المعتذر تكوين (مجتمع) فى السينما بالمعنى

الدقيق لكلمة مجتمع ، إذ يحول دون ذلك الأثر الفردى للتجربة الفيلمية بالإضافة إلى مجهولية المتفرج التامة ، ونحن نحس فقط حضور جارنا ، وهو فى العادة حاضر عند وصولنا وينصرف فى الوقت الذى ننصرف فيه .

أما فى المسارح العادية وقاعات الموسيقى فالمتفرجون (الأفراد) يكونون عادة ممتزجين مع بعضهم البعض فى ارتباط وجدانى مصدره التجربة الموضوعية ، هذا بينما تشتد المشاركة الشخصية الخاصة بالفرد فى السينما حيث لا يوجد سوى حشد مكتل ، فينقلب الفرد إلى أشد ذكرياته فردية ، وهناك عامل آخر يضاف إلى هذا الموقف وهو أن إحساسنا لا يحقق أى اتصال موضوعى مع الفنانين على الشاشة ، وبالنسبة لمرتادى السينما فإنهم ليسوا فنانين مبدعين بقدر ما هم ممثلين لرغباته وخواطره الشخصية ، ولذلك فهو يتقمص شخصياتهم بلا تمحيص .

هذه العناصر السيكلوجية ، أعنى تربص الضجر المستمر بالموقف السينمى ، والاستعداد المتزايد للخيال ، وعدم التمحيص ، والسلبية الإرادية ، وأخيراً المجهولية وهى التى تنتهى بالمتفرج إلى عالمه الخاص — كل هذا يعد عماد سيكلوجية التجربة الفيلمية التى سردناها آنفا .

إن الدور الذى يلعبه الفيلم فى حياة الإنسان الحديث ، دور أضخم من أن نبالغ فيه ، وهو يصدر عن ظروف هذه الحياة السيكلوجية والمجال الواسع لتأثير هذه الظروف ، ويزيد فى ذلك تواضع ما نطالب به مرتاد السينما من مطالب ذهنية بحيث لا تقتضيه سوى متابعة عينيه وأذنيه .

ومن العناصر الهامة فى الموقف السينمى ما يمكن أن ندعوه بالوظيفة العلاجية النفسية ، وهذا مما يجعل الحياة محتملة يوماً بعد يوم بالنسبة لملايين من الناس ، فهم يتصدون لبعض التجارب الفيلمية ويحملونها معهم حيث ينامون ، والاستجابة الناشئة عن الفيلم تخلصهم من رغباتهم العارمة وأحلام يقظتهم غير المشبعة .

وتقدم السينما بعض التعويض للحياة التى فقدت الكثير من جوهرها ، وهى ضرورة تحتمها الحياة الحاضرة ، والفيلم يبعث فى نفوسنا الأسف أو السرور ويحثنا على التأمل ويخلصنا من القلق ويخفف أعباء حياتنا اليومية ، ويثرى خيالنا الفقير ، وهو مصدر للتغلب على ضجرنا ومادة لا تنضب لأحلامنا ، ينطلق كل يوم

ملايين من الناس باحثين عن العزلة فى ظله والمجهولين فى دفئه وتملقه للأنا . والقصص المركزة التى يرويها وألوان العواطف المتباينة التى يقدمها . وأخيراً يخرجون — وقد تغيروا لفترة قصيرة — إلى الحياة اليومية ولكل منهم فيلمه الخاص ، ولكنهم فى النهاية يعودون إلى واقعهم المؤلم الذى لا يرحم

الترجمة بقلم : أكرم الميدانى

يجدر بى فى هذا الصدد أن أشير إلى التجارب العلمية فى المضمار السينمى التى تبذل من أجل عرض الفيلم فى النور . وهى تجارب ساهم فيها لوميير الفرنسى أحد مخترعى السينما الأوائل . وقد أدركها بعض التوفيق فى الحقبة الأخيرة . ولسنا فى حاجة إلى التنويه بأن نجاح مثل هذه التجارب يقتضينا إعادة النظر فى الرأى الذى يذهب إليه كاتب المقال .

المترجم

فكرة الطابع القومى*

بقلم

جفرى جورر G. Gorer

إذا نظرنا إلى فكرة الطابع القومى من بعض جوانبها وجدناها قديمة قدم التاريخ ، بل ربما قدم المجتمع الإنسانى . فمنذ هيرودوت والرحالة الصينيين القدماء ، اعتاد كل كاتب يعرض لوصف مجتمعات غير مجتمعه أن يصف الخصائص المميزة لأعضائها ، مستخدماً فى ذلك مجموعة من الصفات العامة مثل شجاع وصادق العهد وغادر وبخيل ومتقلب و . . . إلخ . ويمكننا القول بوجه عام إنه كلما كان المجتمع الذى ينتمى إليه الكاتب صغيرا كان انتباهه أدق إلى الفوارق بين المجتمعات التى يلاحظها . فمجتمع الصين الهائل كان يجمع بين الأجانب جميعاً تحت اسم « الشياطين الغرباء » ؛ فى حين أن مجتمعات صغيرة كمجتمعات المدن اليونانية الكلاسيكية كانت متنبهة كل التنبه للفوارق بين الإسبرطيين والأثينيين وأهل بيوسا .

وفى المجتمعات التى حاولت إيجاد تفسير منطقى للظواهر ، كان السائد هو تفسير الفوارق القومية بنفس المبادىء السيكولوجية التى يفسرون بها الفوارق الفردية . فحيثما انتشر التفسير الهيبقراطى بالأمزجة ، عُزيت الفوارق القومية إلى الاختلاف فى المناخ ؛ أما فى الجماعات الأرستقراطية فكان التفسير بالوراثة ؛ وكان البيئيون يؤكدون أهمية الأرض ، وكان الماديون يؤكدون أهمية التقدم التكنولوجى .

على أن الدراسة العلمية لهذا الموضوع قد بدأت فيما نرى حديثاً جداً ، سنة ١٩٣٤ وهى السنة التى نشرت فيها روث بندكت R. Benedict كتابها

* تلخيص المقال الوارد بعنوان "The Concept of National Character" فى العدد رقم ١٨ من "Science News" الصادر فى نوفمبر سنة ١٩٥٠ .

« أنماط الحضارة » . وقد استخدمت فى هذا الكتاب تصنيف النماذج الذى استخدمه نيتشه ولكن سرعان ما تبين عدم انطباق هذا التصنيف على الواقع ؛ إلا أن إصرارها على التماسك السيكولوجى للمؤسسات المختلفة التى يتألف منها المجتمع كان بمثابة أساس طريف لإعادة تأويل كثير من البوحوث الأنثروبولوجية الاجتماعية كما وضع معايير جديدة دقيقة لإجراء تلك البحوث فى المستقبل .

وفكرة الطابع القومى مستمدة من الأنثروبولوجيا الاجتماعية . وهى تستخدم الفروض التى تعهدها علماء النفس الغربيون فى دراستهم لأبناء حضاراتهم ، إلا أن مركز الثقل فيها مختلف تماماً : فهى تدرس الشخصية فى الحضارة ، تدرس الشعوب فى أوضاعها الاجتماعية ، ولكنها لا تدرس الفرد كوحدة منعزلة ولا كعضو فى جماعة بعينها .

وموضوع الأنثروبولوجيا الحضارية هو العادات المشتركة بين أبناء المجتمع جميعاً أو بين فئة لها خطرها . وقد كانت العادات موضوعاً لعدة دراسات عميقة قام بها باحثون فى نصف القرن الأخير نخص بالذكر من بينهم بافلوف والسلوكيين . ويتضمن قيام العادة معنيين ، الغريزة أو الاكتساب (أو مزيج منهما) ؛ وكلما زادت التجارب دقة تضاءل الدور الذى يعزوه الباحثون إلى الغريزة فى عادات الثدييات . وقد تبين أخيراً بما لا يدع مجالا للشك أنه حتى سلوك القط فى لعبه مع الفأر سلوك مكتسب ، تلقنه القطة الأم لأطفالها الصغار ، فإذا أمكننا تنشئة قط بمعزل عن القطط الكبار فإنه لن يهاجم الفئران . أما فيما يتعلق بالآدميين فالسلوك الغريزى الأوحد المعترف به هو منعكس الامتصاص الذى يبديه الوليد فى عملية الرضاع . ولا ينكر الباحثون بوجه عام وجود حوافز أو حاجات غريزية إلا أن السلوك المؤدى إلى إشباعها أو تخفيفها مكتسب .

ولكى تقوم العادات يجب أن تكتسب ؛ ولكى تبرز فى موقف ما يجب أن يكون ثمة حافز أو دافع للسلوك يفوق فى قوته التعب الذى ينطوى عليه أداؤها . فإذا برزت عادة ما فى أى موقف كان علينا أن نستنتج شيئين : نستنتج أنه كان هناك اكتساب فى الماضى وأنه يوجد الآن حافز ، وهذا صحيح بالنسبة للفئران أو للآدميين . فإذا ظهرت عادات مشتركة فلنا أن نعتقد بأن الاكتساب كان مشتركاً ، وأن نفس الحوافز أو حوافز متماثلة تدفع الأشخاص الذين يبدون هذه العادات . ومن القضايا التى يسود الاتفاق عليها أن أساليب الاكتساب المختلفة

قد تؤدى إلى ظهور نفس العادة ، وأن العادة الواحدة قد تشبع دوافع مختلفة لدى الأشخاص المختلفين . وتلك حقائق يجب علينا أن نحسب حسابها ؛ ولكن فى حالة الفئران يكون مجال التنوع فى أساليب الاكتساب وفى الدوافع إلى الفعل محدوداً ، فى حين أنه أكثر اتساعاً فى حالة الإنسان .

العادات المشتركة تتضمن إذاً احتمال الاكتساب المشترك والدوافع المشتركة . إلا أن هذه الحقائق لم تكن موضع اهتمام دائم فى الدراسة الأنثروبولوجية للعادات المشتركة . على أن فكرة الطابع القومى إن هى إلا محاولة لعزل ، ووصف الدوافع المشتركة بين أعضاء مجتمع ما يبدون نفس العادات أو الحضارة المشتركة . ولا يمكن مشاهدة الدوافع فى الظروف السوية مشاهدة مباشرة ؛ بل لا بد من استنباطها من دراسة وتحليل النتائج الفعلية لأجزاء معينة من السلوك . ولكى يزيد الباحثون يقينهم من صدق استنتاجهم للدوافع ، يعكفون على الدراسة التفصيلية لنماذج الاكتساب والتعليم الشائعة فى المجتمع الذى يدرسونه .

ويشترك الإنسان مع سائر الثدييات فى الدوافع الفيزيولوجية الأساسية بقدر ماهو حيوان ثدي . وتشتمل هذه الدوافع على توترات الجوع والعطش والرغبة الجنسية وضغط المثانة والقولون ؛ والنفور من الاختناق ومن الحرارة الشديدة والبرودة الشديدة والتعب أو الألم ؛ والخوف والغضب كاستجابة للتوترات التى لا يستطيع تخفيفها أو للمواقف التى تتهدده بالألم أو بالكدر . فمن حيث أن الإنسان حيوان ثدي فإنه لا يستطيع أن يعيش إلا إذا أشبعت هذه الحاجات ؛ ولا بد لكل مجتمع أيا كان من أن يوجد المؤسسات اللازمة للعناية بهذه الحاجات لدى أعضائه جميعاً .

ويعتبر الإلحاح على أهمية الحاجات الفيزيولوجية للإنسان المساهمة الكبرى التى قدمها مالينوفسكى للأنثروبولوجيا الاجتماعية ؛ فقد جعل يؤكد هذه الحقيقة وهى أنه حتى البدائيون لا بد وأن يأكلوا ، فهم لا يستطيعون أن ينفقوا حياتهم فى الكشف عن تضامن القبيلة بوساطة الطقوس ، ولا أن ينفقوها بالإغراق فى التفكير « قبل المنطقى » ، أو فى الاستعدادات للزواج . . . . فكان هذا التفكير كسباً لجانب النظرة الواقعية . إلا أن الباحثين اندفعوا فى كثير من المغالاة . فبعد أن كانوا يصفون تفكير البدائيين بأنه « قبل المنطقى » أصبحوا يصفونه بأنه منطقى تماماً ، وبعد أن كانوا يرون سلوكهم غير رشيد أصبحوا يرونه رشيداً من أوله إلى

آخره ؛ فهم لا يقومون بأى عمل إلا إذا كان يؤدى إلى إشباع فيزيولوجى . فكان لهذا التفكير أخطاؤه ، لأنه أولا وقبل كل شيء يحرمنا من تفسير الاختلافات الواضحة فى السلوك والاتجاهات لدي عدد من القبائل التى تعيش فى مستويات متماثلة من التقدم التكنولوجى . أضف إلى ذلك أنه لم يمكن العثور فى أى مكان على أولئك الآدميين ذوى السلوك الرشيد تماماً ، اللهم إلا فى مؤلفات الأنثروبولوجيين .

على أن المادة التى يجمعها الأنثروبولوجى الذى يدرس الطابع القومى تختلف عن تلك التى يجمعها باحث لا يحدوه هذا الاهتمام . فمن الجدير بالذكر أنه ليس ثمة أى جانب فى الحياة الاجتماعية لا يقدم لنا نماذج من الدوافع المشتركة لدى أعضاء المجتمع . لكل نشاط عناصره الوجدانية والوظيفية . أما الفوارق فى التوتر والاسترخاء ، وفى الصداقة والتشاحن ، وفى الاهتمام بالشكليات والإهمال فتلك فوارق ذات مغزى . والمفاتيح لفهم هذا المغزى نجدها متعددة ، تتمثل فى النكات والسباب ، وفى الحكم الشعبية ، وفى المشاحنات وأساليب التوفيق ، وفى أكثر القصص والأساطير انتشاراً ، وفى التكوين المتنوع أو المتحجر لجماعات العمل أو اللعب بل وفى الأوضاع الجسمية المعتادة . وكلما تراكمت هذه المفاتيح أمكن تصنيفها فى أنماط . ويمكن تحديد خصائص هذه الأنماط ثم الاستزادة من البراهين لإثبات أو لدحض القول بانتشار هذه الدوافع المشتركة ؛ كذلك يمكن الرجوع إلى بعض الملاحظات التى سبق إجراؤها فنجد فيها ما يؤيدنا أو ما يفند أقوالنا ؛ ولا بد من مراعاة الاستثناءات ومحاولة تفسيرها ، ثم إذا بنا نتمكن شيئاً فشيئاً ، عن طريق عملية منظمة من المحاولة والخطأ ، نتمكن من صياغة الدوافع الرئيسية النشطة والتى يشترك فيها أغلبية أعضاء المجتمع الذى نبحثه .

ولا فرق بين اختبار الفروض الخاصة بالطابع القومى واختبار أى فرض علمى آخر ، فهو ينحصر فى التنبؤ الصحيح . فإذا كانت الفروض حول الدوافع المشتركة صحيحة ، فيجب أن نتمكن من التنبؤ بكيف تستجيب الجماعة — لا مجموعة معينة من الأفراد — لموقف جديد . والميزة الكبرى للقول بفروض معينة حول الدوافع المشتركة لدى مجتمعات كبيرة معقدة متحضرة ، هى فى أن الأخبار الكثيرة الواردة عن هذا المجتمع تصلح أداة لاختبار فروضنا بمطابقتها على السلوك وهو ما لا نستطيعه بالنسبة للمجتمعات البدائية .

ويمكن الوصول إلى الفروض بملاحظة سلوك البالغين . ولكى نحلل النشاط

الاجتماعى لا بد من وصفه فى حدود عدد معين من المؤسسات ، ولا يفتأ الناس ينتقلون فى نشاطهم من مؤسسة إلى أخرى ، إلا أنه لا يمكن القول بأن كل مؤسسة تتطلب طرازاً معيناً من الاستعدادات ومجموعة جديدة من العادات والتوقعات وإلا لأصبحت الحياة اليومية لا تطاق . ولكن ليس معنى ذلك أن الأفراد لا يغيرون من سلوكهم وهم ينتقلون من مؤسسة إلى أخرى ، بل معناه أن هذه التغيرات منسجمة فيما بينها .

على أن المجتمعات لا تتألف من بالغين فحسب . فحتى فى أصغرها حجما نستطيع أن نجد من يمثلون كل مرحلة من مراحل العمر منذ الطفل حديث الولادة ، إلى الصبية والمراهقين والكهول والمسنين والمحتضرين . ومن المسلمات الأساسية للدراسات الاجتماعية أن المجتمعات تحتفظ بحضارتها فترة طويلة من الزمن (على الأقل أطول من عمر الفرد الواحد) إلا إذا قُطع عليها الطريق بحرب أو مجاعة أو بإدخال عمليات تكنيكية أكثر تقدماً ، أو بظهور وباء أو بأى طارئ هائل من هذا القبيل . وتتضمن هذه المسلّمة أن الجيل الحاضر من البالغين سوف يخلى مكانه للجيل الحاضر من الأطفال ، الذين سوف يكتسبون من العادات ما يماثل عادات آبائهم ، كما يتضمن — إلى حد كبير — حقيقة أخرى وهى أن الاكتساب فى الطفولة الذى اجتازه البالغون الحاضرون كان مماثلا إلى حد كبير للاكتساب الذى يجتازه الأطفال الحاضرون . ومن ثم ففى مجتمع لا يتعرض لتغيرات عنيفة ، يمثل البالغون مستقبل الأطفال ، ويلخص الأطفال خبرات البالغين الماضية .

ويختلف الأطفال المولودون حديثاً بعضهم عن بعض من حيث الجبلة الفطرية وربما من حيث المزاج . ولعلهم يختلفون أيضاً من حيث القدرات العقلية والوجدانية ، ولكن بالرغم من العدد الهائل من البحوث التى أجريت فى هذا الموضوع ، فإن دعواه الرئيسية لا تزال بحاجة إلى ما يثبتها . وبالتالى فمع أن كل طفل (عدا التوائم المتماثلة) يولد بجبلته الوراثية الفريدة ، يبدو من المعقول أن نقرر أنه فى الجماعات الكبرى تلغى الفوارق بعضها بعضاً . ويمثل الأطفال حديثو الولادة عينة غير منسقة من الجبلات والأمزجة . وقد نضطر إلى تعديل هذا الفرض أو العدول عنه نهائياً عند ما تتقدم دراسة الوراثة الإنسانية أكثر مما هى عليه الآن ، ولكن إلى أن نبلغ تلك المرحلة يبدو أكثر اقتراباً من الروح العملى أن نتجاهل المحدّدات الوراثية عند ما ننظر فى ارتقاء جماعة من الأطفال .

فالعادات مكتسبة . وقيام عادة ما يدل على اكتساب سابق . وعلى ذلك فوجود عادات مشتركة بين البالغين فى مجتمع ما معناه احتمال قيام اكتساب مشترك أو متماثل فى وقت سابق من عمرهم . إلا أن كون المجتمعات تظل باقية رغم تغير أعضائها يتضمن أن الاكتساب لدى أطفال اليوم مشابه تماماً للاكتساب الذى حدث من قبل لدى بالغى اليوم ؛ وبالتالى فدراسة ما يجرى على الاكتساب لدى أطفال اليوم من شأنه أن يلقى ضوءاً على الخبرات الأولى لبالغى اليوم ، ودراسة الخبرات الحاضرة لبالغى اليوم تمكننا من التنبؤ بالنهاية التى سينتهى إليها ارتقاء أطفال اليوم . والنتيجة النهائية أن دراسة تربية الطفل من شأنها أن تعطينا صورة دينامية مثلثة الأبعاد للرغبات المشتركة لدى البالغين .

والجوانب الرئيسية التى يجب ملاحظتها فى بحثنا لتربية الطفل هى متى وكيف ولأى سبب وبوساطة من يلقى الطفل الثواب أو العقاب اللذين يكونان عينيين أحياناً ورمزيين أحياناً . وقد تبين أنه فى المجتمعات المستقرة تجرى تربية الطفل على نمط معين يراعى بدقة ، ولا يتاح الحيد عنه فى تقديم البالغين الثواب والعقاب للأطفال إلا فى حدود ضيقة جدا . إذا قورنت بالفرق الشاسع بينه وبين أنماط التربية فى المجتمعات الأخرى . فمع أن خبرة كل فرد فريدة إلى حد ما ، فإن معظم أعضاء المجتمع المستقر جرى عليهم قدر كبير من الاكتساب المشترك ؛ ومن المنطق أن نفترض أسبقية هذا الاكتساب المشترك على العادات المشتركة والمشاعر المشتركة التى نجدها عند البالغين . وبمعنى ما يمكن القول بأننا هنا بصدد موقف شبيه بموقف الفرخ والبيضة . فالآباء لما لديهم من خبرات سابقة نجدهم يحملون استعدادات وأفكاراً ورغبات معينة تدفعهم إلى انتخاب نماذج معينة من سلوك أطفالهم ويثيبونهم أو يعاقبونهم عليها ؛ وتضع هذه المكافآت والعقوبات الأساس فى الطفل لتنمية خصال البالغين بما لديهم من استعدادات وأفكار ورغبات . فالمجتمع كل متصل ، ويستطيع الباحث أن يبدأ بحثه فيه من أى موضع يشاء .

ولا جدال فى أن تأويل المشاهدات التى يجريها أى باحث على تربية الطفل فى أى مجتمع تتوقف على النظرية التى يأخذ بها . وأنا من جانبى آخذ بنظرية كلارك هل C.L. Hull وأتباعه فى الاكتساب ، وبنظرية فرويد فى ارتقاء الفرد السيكولوجى . على أن دراسة تربية الطفل لها عدة مزايا زيادة على ما ذكرنا .

فالمتغيرات الممكنة فى معاملة الأطفال حتى سن السادسة تقريباً إذا قورنت بحياة البالغين ظهرت محدودة نسبياً ويرجع ذلك إلى الضعف البيولوجى للأطفال وحاجاتهم البيولوجية ، ومن ثم فإننا نستطيع عزل بعض التنوعات الهامة بسهولة . ثم إن أساليب ملاحظة الأطفال تختلف اختلافاً يسيراً جداً من حضارة إلى حضارة ، وهذا من أندر المواقف التى تمكننا من المقارنة بين ملاحظات الأنثروبولوجيين فى الحضارات البدائية وملاحظات المتخصصين فى مجتمعنا الحاضر . فقلما يوجد الاقتصادى الألمعى الذى يستطيع أن يعالج الاقتصاديات البدائية ، ولكن معظم المختصين فى علم نفس الطفل يستطيعون مناقشة وقائع التربية البدائية للطفل ؛ ومن ثم فإنه يمكن إحداث تخصيب متبادل بين الفرعين . لهذه الأسباب مجتمعة ، عنى الباحثون المختصون فى موضوع الطابع القومى بملاحظة الأطفال بوجه خاص ، ولو أن هذا يمكن الاستغناء عنه نظرياً .

إلى هنا ومناقشتنا للموضوع معنية بتحليل الطابع القومى على أساس الملاحظة والاستبار لمدة طويلة على الطريقة التقليدية الشائعة فى الأنثروبولوجيا الاجتماعية ، وهى وحدها الطريقة المجدية فيما أعتقد . على أننى ، نزولا على مقتضيات الحرب ، حاولت مع بعض زملائى ، أن نقوم بتحليل الطابع القومى لشعب ونحن خارج وطنه ؛ وسأقدم بإيجاز فيما يلى بعض المبادئ والأساليب الرئيسية التى استندت إليها فى هذا العمل .

أما الفروض الأساسية فهى نفس الفروض المستخدمة فى تحليل الطابع القومى البدائى (فيما عدا أننا نتوقع وجود فوارق إقليمية أو طبقية) ، ولكن الاختلاف فى المعلومات التى نستند إليها فى القيام ببعض الاستنباطات وهى بوجه عام أقل قدرة على إرضاء الباحث المدقق . وقد احتفظنا بالاستبار على أساس أنه المصدر الرئيسى للمعلومات ، ولكنا لم نتمكن من اختبار المادة المستنبطة من الاستبارات ومراجعتها على بعض المشاهدات اللهم إلا فى حدود ضيقة جداً — حيث كنا نلاحظ سلوك الأشخاص موضوع الاستبار نحو الباحث ونحو بعضهم البعض . وأمام هذه الشوائب فى البحث لا يمكننا إلا أن نقرر ان نتائج هذا البحث تقريبية إلى حد كبير .

ولكن عند ما يكون المجتمع موضوع البحث مجتمعاً متمدناً فإننا نستطيع أن نجد بعض الوسائل التى تقلل إلى حد ما من الآثار السيئة لهذه العقبات .

فى جميع الحالات تقريباً يوجد قدر لا بأس به من البحوث التاريخية والاجتماعية واللاهوتية قام بها مختصون أكفاء ؛ ويمكن الرجوع إلى هذه البحوث لإنجاز بحثنا . ثم هناك قدر لا بأس به أيضاً من المنتجات الرمزية التى تمكننا من التحليل : كالكتب والصور والنكات والمؤلفات الفلسفية والمسرحيات والأفلام . وربما كانت الأفلام أجداها جميعاً . فكل الأفلام تقريباً من إنتاج عدد كبير من الأفراد بحيث لا تسمح لكثير من جوانب فردية الفنان أن تظهر كما تظهر فى أعمال فنية أخرى . ثم إن الفلم الناجح لا بد وأن يستجيب لبعض الاستعدادات لدى النظارة . أضف إلى ذلك أن الأساس الذى تقوم عليه قصة الفلم أيّا كانت والشخصيات الثانوية لا بد وأن تمثل إلى حد ما المستوى الحضارى للشعب . هذا إلى أن الفلم يمكننا مشاهدته عدة مرات مما يتيح لنا فرصة الدراسة الدقيقة لكل دقيقة من دقائق السلوك . وهناك بالفعل دراسات قيمة لخصائص الفوميات من خلال الأفلام نذكر من بينها دراسة إريكسون E. H. Erikson لفلم « طفولة مكسيم جوركى » ودراسة مارتا ڤولفنشتين M. Wolfenstein N. Leites بعنوان « السينما : دراسة سيكولوجية » .

وأخيراً هناك ميزة لا يمكن إغفالها عند ما نتقدم لدراسة حضارة معاصرة معقدة ، فهناك دائماً أشخاص أكفاء يستطيعون أن ينبئونا بأنباء كثيرة قيمة . وقد اعتمدت على هؤلاء اعتماداً كبيراً . وهؤلاء قد يكونون من أبناء المجتمع الذى ندرسه وقد لا يكونون . ولكن بعض الباحثين لا ترضيهم هذه الطريقة . وفى اعتقادى أن هذا تعسف لا مبرر له . فمن الأشخاص الذين اعتمدت على أخبارهم قابلة روسية ظلت تمارس عملها فى الريف الروسى منذ سنة ١٩١١ حتى اعتقلها الألمان . ومن العسير علينا أن نتصور خيراً من هذا المصدر فى استقاء المعلومات عن ولادة الأطفال . ولو أنها كتبت ونشرت ما قالته لوافق الكثيرون على الرجوع إليها . أما الكلمة المنطوقة فالاعتماد عليها يعتبر هرطقة فى عرف البعض . ومن الغريب حقاً أن يعتبر الاستناد إلى بضع عشرة وثيقة تأريخاً علمياً ؛ أما استخدام أربعمائة استبار فمجرد « تخمين ألمعى » ، حتى ولو كانت الوثائق خاصة غير رسمية كالخطابات أو المذكرات .

على أن هناك نقداً لمثل أبحاثنا هذه يبدو معقولا ومقبولا ، يتلخص فى أن هذه الدراسات خلو من التحديد الكمى للظواهر ، أى التحديد بالأرقام والنسب

الدقيقة لانتشار عادة من العادات فى المجتمع . وهذا صحيح ، وياحبذا لو توفرت هذه الميزة ، ولكن هذا ليس فى مقدورنا حتى الآن . والواقع أن فكرة الطابع القومى كلها بعيدة عن المعالجة الكمية وهى فى ذلك لا تفترق عن فكرة نظام القرابة . ومن الممكن إخضاع الوقائع التى نستنتج منها نظام القرابة للتقدير الكمى ، إلا أن المفهوم العلمى concept لهذا النظام نفسه غير عددى ، وفى اعتقادى أن محاولة صبغه بالصبغة العددية ضرب من العلم الكاذب . ذلك أن نظم القرابة تقوم على التنسيق الفريد لعدد ضئيل من العلاقات الأساسية ، ولا يصف جهاز الرقابة العناصر التى يتألف منها ولكنه يصف بناء هذه العناصر . ومثل ذلك تماماً فكرة الطابع القومى .

فدراسة الطابع القومى تشبه تلك الفروع من المعرفة العلمية التى تدرس وظائف الكائنات الحية ، مثل الفيزيولوجيا والإكولوجيا (دراسة علاقة الحيوان والنبات ببيئاتهما) . وهناك اعتقاد فاسد مرده إلى التقدم الهائل فى الميكانيكا فى القرن الماضى ومؤداه أن كل علم يجب أن يتشبه بالكيمياء أو هندسة الآلات حيث تصاغ النتائج فى أرقام . والرد على ذلك أن هناك علوماً تدرس البناء إلى جانب العلوم التى تدرس العناصر ؛ بل أكثر من ذلك أن كل الأحكام العلمية ابتداء من الأحكام فى الفلك حتى الأحكام فى بناء الذرة ومن الفيزيولوجيا حتى التحليل النفسى ، هى أحكام علاقات أولا قبل أن تكون أحكام مقادير .

وفكرة الطابع القومى تشير إلى بناء الدوافع أو السمات . وبالقدر الذى يسمح به مستوانا الحاضر من المعرفة نستطيع أن نقرر بأنه ليس ثمة سمة بعينها ولا دافع بعينه يمكن تخصيصه لمجتمع بعينه ؛ ولكن بالقدر الذى يسمح به هذا المستوى نفسه نقرر أن البناء أو التأليف بين الدوافع ، أو بالأحرى الطابع القومى لمجتمع ما فريد دائماً ، ولما كانت فكرة الطابع القومى تدل على بناء أو نمط ، فقد ظل استخدام الاختبارات السيكولوجية كأداة للبحث عاجزاً عن أن يفيدنا فى هذا الميدان ، لأن معظم هذه الاختبارات موضوعة بحيث تبرز وجود أو تخلف سمة أو مجموعة صغيرة من السمات لدى جميع أعضاء المجتمع المسلّم بأنه معروف مقدماً . ولا يستثنى من هذا الحكم سوى الاختبارات الإسقاطية ؛ ومع ذلك فإن طريقة استخدامها فى هذا الصدد تحتاج إلى بعض التعديل .

على أن هذه الصعاب وهذا الضعف فى أدوات البحث الميسورة لنا وتلك

الاعتراضات المتعسفة أحياناً ، يجب ألا تثبط همتنا . فعلى الرغم من ذلك كله لا زلنا نستطيع أن نتقدم بضع خطوات فى دراسة الطابع القومى وتحليله ، وبقدر فهمنا له على حقيقته سوف نستطيع أن نساهم فى القضاء على أسباب سوء التفاهم وسوء التأويل التى قد تؤدى إلى الحرب . ولو أن الموقف السياسى لم يصل إلى ما وصل إليه من السوء لكان من المستحسن أن نوصى بالانتظار خمسين عاماً أخرى حتى تصقل أساليب الأنثروبولوجيا وعلم الاجتماع وعلم النفس أكثر مما هى الآن لكى نحاول القيام بدراسة موضوع معقد كموضوع الطابع القومى . إلا أننا لم نعد نملك الاختيار ؛ والفرصة المتاحة لنا الآن تتلخص فى شيئين لا ثالث لهما : إما أن نؤدى ما نستطيع أداءه بالوسائل المتاحة لنا وإما ألا نفعل شيئاً البتة . وفى اعتقادى أن المحاولة تستحق كل ما تنطوى عليه من مخاطرة .

تلخيص : م . س .